الاسم: **نعيمة** اللقب: **سعدية.**
الدرجة العلمية: أستاذ التعليم العالي
الجامعة أو المؤسسة:كلية الآداب واللغات-جامعة محمد خيضر بسكرة.
الهاتف:0665765761الفاكس:...../ .....
البريد الإلكتروني: naimasadiad@gtmail.com

المحور: شخصية الأمير عبد القادر وتعدد الرؤى والقراءات المعاصرة والحديثة

عنوان المداخلة: الأمير عبد القادر الجزائري فكر إنساني متجدد

Prince Abdelkader Al-Jazairi's humanitarian thought is renewed

الملخص:

الأمير عبد القادر الجزائري قائد ثوري، وصاحب مبدأ في مواجهة الاستعمار الفرنسي، من أجل السيادة الوطنية، وهو شخصية إنسانية، ورائد في فكره وحضوره، وهو المناضل والشاعر والمثقف والفقيه؛ انفتح على من هم عاصره، فأثر فيهم، وكان لهم القدوة، وهذا ما حقق له الانفتاح الممتدّ، على اللاحق، إذ لاقت معظم أفكاره إقبالا، تراوحت بين الإيمان والتقليد، وفي الصورتين، أسهمت في تشكيل الجزائر المعاصرة- فكريا وقانونيا ومجتمعا مدنيا- قائد ثورة شعبية لمواجهة الاستعمار الفرنسي، عبر عن رفضه للسياسية الاستعمارية ضد الشعب الجزائري.

تحاول الورقة البحثية مقاربة الأبعاد الإنسانية والمجتمعية والمدنية، التي أسهمت في انفتاح فكر الأمير عبد القادر على المجتمع الجزائري، والمجتمع العربي ، والمجتمع العالمي والإنساني، ومعرفة كيفتمّ استثمار أفكار الأمير في بناء مجتمع الجزائر المعاصرة.

ولتحقيق ذلك يتم الوقوف عند النقاط الآتية:

أولا: الفكر الإنساني

ثانيا: الإبداع في فكر الأمير عبد القادر الجزائري

ثالثا: إسهام الأمير في تأسيس مبادرة المجتمع المدني.

رابعا: استثمار قيم فكر الأمير عبد القادر لحل الكثير من القضايا المعاصرة-البعد الاستشرافي.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر –الإنسانية- الفكر الانساني –الانفتاح –المجتمع المدني .

Summary:

Prince Abdelkader Al-Jazairi is a revolutionary leader and a man of principle in confronting French colonialism, for the sake of national sovereignty. He is a humanitarian personality, a pioneer in his thought and presence, and he is a fighter, poet, intellectual, and jurist. He was open to those of his contemporaries, influenced them, and was a role model for them, and this is what achieved his extended openness, to the later, as most of his ideas were well received, ranging between faith and tradition, and in both forms, they contributed to the formation of contemporary Algeria - intellectually, legally, and in civil society - a revolutionary leader. Popular to confront French colonialism, he expressed his rejection and dissatisfaction with the colonial policy against the Algerian people, who have never recognized, and will not recognize, that Algeria is part of France.

The research paper attempts to approach the humanitarian, societal and civil dimensions, which contributed to the openness of Emir Abdelkader's thought to Algerian society, the Arab society, and the global and humanitarian community, and to find out how the Emir's ideas were invested in building contemporary Algerian society.

To achieve this, the following points are considered:

First: human thought

Second: Creativity in the thought of Prince Abdul Qadir Al-Jazairi

Third: The Emir's contribution to establishing the civil society initiative.

Fourth: Investing the values of Prince Abdul Qadir's thought to solve many contemporary issues - the forward-looking dimension.

Keywords: Prince Abdul Qadir - humanity - human thought - openness - civil society.

***التعريف بشخصية الأمير عبد القادر:**

عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر ابن احمد المختار بن عبد القادر أحمد المشهور بابن خده وهي مرضعته ابن محمد ابن عبد القوي بن على بن أحمد ابن عبد القوي ابن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن رضي الله عنهم [1]

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب سنة 1222هـ ببلدية القيطنة من أعمال معسكر بالمغرب الأوسط من بيت علم وتقوى. وتربى في رعاية والده وحفظ القران الكريم في مدرسته، وقرأ عليه الفقه وغيره. وأخذ العلم على أهله. سافر إلى وهران سنة 1236هـ وأكمل دراسته وبرع في مختلف العلوم حتى فاق أقرانه بالأدب والتوحيد والفقه والحكمة والعقل، وكان يحفظ أكثر صحيح البخاري .كما كان ولع بالفروسية والسلاح ولا يهملهما، فصار عالما فاضلا، ومدربا وجمع بين السيف والقلم.[2]

أقام الأمير عبد القادر بدمشق عدة شهور تمكن من خلالها حضور عديد المناقشات والحفلات والدراسية العلمية التي كان يدرس فيها كبار العلماء بالجامع الأموي وغيره.[3]

الأمير واحد من أبناء البلاد قبل الإمارة نزولا عند رغبة أعيان المنطقة، فلذلك نجد مم بايعه قد التزم بإرادته الحرة للعمل تحت قيادته، بعيدا عن أي كره، فكان الرجل المناسب، حيث عمل على تأسيس جيش وطني نظامي شعبي عناصره من الفلاحين الجزائريين.[4]

فحكم الأمير لم يكن عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق البيعة ورضي الشعب الجزائري، لذا تعتبر سلطته شرعية قانونية يؤكد من خلالها استمرارية السيادة للشعب الجزائري وفق مبادئ أساسية وسلطة صارمة مطلقة مقبولة من قبل الشعب، باعتبار الدين الإسلامي المحرك الأساسي للشعب الجزائري لتدعيم الوحدة الشعبية.[5]

---

[1]- باري، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، تح: نزار أباضة، ط01، دار الفكر، دمشق، 1994، ص 09.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 09- 10.

[3]- عبد الأمير هويدي الحيدري، الأمير عبد القادر ودوره السياسي والعسكري، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، م: 17، ع: 02، 2009، ص 481.

[4]- عبد القادر سلاماني، بيعة الأمير عبد القادر حيثياتها ومرجعيتها القانونية والشرعية، مجلة الشهاب، مج:04، ع: 02، جوان 2018، ص 295 .

[5]- *B. Abdelkader, L'état Algérien en 1830 institutions sous l'emir Abdelkader, entreprise populaire algerienne, éd. SNED, alger, p70.*

حيث وقع اختيار محي الدين على ابنه عبد القادر نظرا لما رأى فيه والده من النجابة والهدي والحماسة والعز والشجاعة [1] وفي مساء يوم 27 نوفمبر 1832م تحت شجرة الدردار[2] اجتمع العلماء ووجوه البلاد من زعماء قبائل أغريس وغيرها في منطقة معسكر فقام أحد العلماء وخطت في الناس قائلا : إننا في حاجة إلى من يقود سفينتنا في وجه العدو في الداخل والخارج ليذيقه العذاب، ولهذا فان الخاص والعام قد اتفقوا أن يسندوا الإمارة إلى عبد القادر ابن محي الدين، فانفجرت حماسة الناس وصاحوا بصوت واحد (الحياة النصر لسلطاننا عبد القادر)[3]

تزوج الأمير عبد القادر شابا يافعا على الطريقة الإسلامية وطبقا لنصوص القران.

الأمير هو قائد سياسي وعسكري مجاهد عرف بمحاربته للاحتلال الفرنسي للجزائر قاد مقاومة شعبية لخمسة عشر عاما أثناء بدايات غزو فرنسا للجزائر، يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي، نفي إلى دمشق حيث تفرغ للتصوف والفلسفةوالكتابة والشعر.

وتوفي فيها يوم 26مايو1883 ، وبعد الاستقلال نقل جثمانه الطيب إلى الجزائر عام 1965م ودفن بمربع الشهداء – مقبرة العالية- فرحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

من أهم **أعماله**: كتاب وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ، كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أمل الباطل والإلحاد كتاب ذكري العاقل وتنويه الغافل، كتاب المواقف في بغض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف .[4]

***الفكر الإنساني فكر خالد:**

قبل البدء:..عندما تعصف زلازل الفخ بقلاع الوجود، عندما تنفجر المعاني غضبا وقهرا وصرامة وقيود، فتطير الحقيقة كالشظايا. عندما يطلب العقل الأجوبة فترتد الأسئلة إلى بداياتها وعندما وعندما..يجب على كل فتح إنساني أن ينتصر للإنسان..الموجود مع بداية الوجود. وهذا هو الفكر الإنساني، الذي سيتصف بالخلود..

ذلك أن الوجود الإنساني حوار مع العالم..وهذا الحوار عودة إلى فكرة التواصل الذي انقطع، فالحوار يعني أن هناك دائما احتمالا جديدا.

والرهان في هذه الحال، لا يتعلق بإيقاف الحوار والتفاعل بين التأويل والعلوم الإنسانية، بل بالمحافظة على هذا الحوار والدعوة إلى مقاومة ذلك الانحلال الذي يمكن أن يفرض نفسه في ظل خوفنا من الفهم وعجزنا عن التأويل وفق منهج مقنن يقربنا من إدراك أغوار المعرفة فاليقين أنه ليس هناك اكتمال، وإلا أبدا ما قام الحوار.

إننا نحيا في الوقت الراهن محنة في المعنى والفهم؛ ذلك أن المباشر يخفي الأساسي، والمعاني تتعدد والدلالات تتنوع وتتناثر، وقد أفرز صراع العمالقة المحموم حول معنى الوجود للفكر البشري رؤى وتصورات متميزة ومتباينة عن العالم، فالبحث عمَا نسميه حقائق خالدة واللاوعي الاجتماعي وما أشبه، يمكن أن يكون منازلة لتكاثر الحقائق الموضعية اليومية الضاغطة.

---

[1]- مسعود الجزائري، تاريخ الجزائر ، ج: 01، المكتبة الأردنية الهاشمية، الأردن، 1961، 145 .

[2]- شجرة الدردار: هي شجرة متواجدة بوادي فروجة من اغريس، شجرة عظيمة كلن أهالي اغريس يجتمعون تحتها للشورى . ينظر: يحي البوعزيز،الأمير عبد القادر رائد الكفاح المسلح، دار الكتاب الجزائري، الجزائر، 1964، ص 83.

[3]- فتحي دردار، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية من (1832-1847) (د د)/ 2001، ص 32.

[4] - مقدم رشيد، الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة مشكلا ت الحضارة، م: 08، ع: 01، 2019، ص ص 16- 17.

هناك سعي حثيث إلى توسيع حدود نظرية المعرفة إلى مستوى الفهم ومشروعية ممارسته بشكل يمكنه من بلوغ الحقيقة التي هي في النهاية ليست إلا تأسيس للفهم بما هو فهم بوساطة اللغة التي تمثل ذلك التعالي الذي يصنعه الإنسان فوق الجزء والمحدود وكل ما هو فردي، لأن اللغة فلك نصنعه ويصنعا..ولكن مطلقا لا يقهرنا لأنه يفَعلنا بمنطق الفهم وفعل التأويل..؟؟؟

الخطاب عند الأمير هو استخدام اللغة في مواقفها الاجتماعية، يخضع إلى نظام دقيق القضايا وشروط التعبير مثل (طبيعة السبب، وتشكيلات المستمعين، والأثر المطلوب، ومصادر التعبيرات للغة) [(1)].

مشروع الأمير فكري نظري مؤسس؛ كون النظرية "هي تركيب فكري شامل، يقوم على التجريد، والتعميم، ويهدف إلى تفسير أكثر عدد ممكن من الظواهر في مجال بعينه بعيدا عن المعنى الضيق لزمان النشأة "[2]، **يقارب بها صاحبها الأصل** وهو الإنسان، فكل حضارة، جاءت لخدمة الإنسان من رحم الإنسان ليستفيد منها الإنسان، وما الاختلافات والحدود الصارمة إلا أفعال قوى تريد تحطيم الإنسان داخل الإنسان.

يحذر الأمير من مجاراة التفكير الأوروبي الذي لا يمكن أن نضيف إليه أي إضافة حقيقية إذا اكتفينا بنقله، فإن هذه المحاذير سرعان ما تتوارى وراء دعوة صاحب النظرية إلى تغيير هذا الواقع، وتجديد حياتنا الروحية واتجاهاتها وقيمها باستمداد الآداب والفنون، لخدمة الإنسان المنطلق والمنتهى، المركز الأساس.

الأمير الكاتب إلى يهدف دوما إلى ربط الفرد بالثقافة والحوار، وعلى إثر ذلك فإن الأطر المنهجية للحوار تفرض التجرد والابتعاد عن الأحكام المسبقة بهدف الوصول إلى الحقيقة المبتغاة، وإيصال الطرف الآخر إليها، بالإضافة إلى الإيمان بالتعددية والتعددية تقتضي التمايز [(3)].

كان الأمير عبد القادر عميق الإيمان بالله عز وجل، شديد التمسك بمبادئ الإسلام التي تأمر باحترام الإنسان كإنسان ، اذ لم يعرف تاريخ البشرية قيمة الإنسان إلا في عهد الرسول ، وكان متشبعا بالقيم النبوية الشريفة رغم ضعف وسائل الإعلام في ذلك الحين، وكان يتمتع بكامل الاحترام والثقة والحب التي خص بها عرب وهران منذ وقت بعيد[4]
كان الأمير صاحب قوة وصلابة في دينه، وقد اشتهر بالصدق والأمانة، وحبه لوطنه، وكان شديد الحرص على مبادئه، والى جانب خبرته العسكرية كان له هدفا سياسيا واسعا، وكان ندا قويا لدى خصومه، الذين كانوا يحاربونه آنذاك .وبفضل دهائه السياسي أوقع العدو في مأزق وعرضه للمخاطر والمهالك على الرغم من تعدد مواقفه، وبفضل دهائه العظيم تمكن من صد المعتدين والوقوف دون احتلالهم للبلاد حوالي 17 سنة [5]

مهاد إبداع إنسان للإنسان:

---

[1] - بيار غيرو ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، دار الإنماء القومي، بيروت، ص09، ص 10.

[2] - سعد البازعي ،استقبال الآخر : الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي،ط1، المغرب ، 2004 ،ص 77 .

[(3)] ينظر: عبد الله علي العليَّان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مسقط، ط: 1، 2003، ص80.

[4]- عبد القادر المليق، سلوكيات وأخلاقيات الامير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب، معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا، المركز الجامعي افلوا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ع: 01، 2009، ص 157

[5] محمد سريح، رأي الكولونيل سكوت في الأمير من خلال مذكراته عن إقامته في زمالة الأمير1841م، المجلة العربية للأبحاث فيالعلوم الانسانية والاجتماعية، ع: 25، جامعة الجلفة ، 2016، ص 83.

يعدّ الإبداع تفاعلاً لعدّة عوامل عقليّة وبيئيّة واجتماعيّة وشخصيّة، ونراه أحد سبل هذا الحوار، وينتج هذا التفاعل بحلول جديدة تمّ ابتكارها للمواقف العمليّة أو النظريّة في أيٍّ من المجالات العلميّة أوالحياتيّة، وما يميّز هذه المجالات هي الحداثة والأصالة والقيمة الاجتماعيّة المؤثّرة؛ فهي إحدى العمليّات التي تساعد الإنسان على الإحساس وإدراك المشكلة، ومواقع الضّعف، والبحث عن الحلول واختبار صحّتها، وإجراء تعديل على النتائج، كما أنّها تهدف إلى ابتكار أفكار جديدة مفيدة ومقبولة اجتماعيّاً عند تطبيقها، كما تمكّن صاحبها من التوصّل به إلى أفكار جديدة واستعمالات غير مألوفة، وأن يمتلك صفات تضمّ الطلاقة، والمرونة، والإسهاب، والحساسيّة للمشكلات، وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها؛ ذلك أن الإبداع "هو العملية العقلية والنفسية والوجدانية، تنتهي بمن تتوفر فيه إلى إيجاد شيء جديد تتجسد فيه قيمة أو قيم تضاف إلى معطيات الحقائق القائمة في الحياة"[1]

وهنا لا مناص للعملية الإبداعية من مستلزمات عي في ذات المبدع قائمة وفي نسيج تكوينه كائنة، منها:

1- طاقة استعدادية تمكّن البصيرة من تفاعل النفس واندماجها بما يحيط بها بوجه يخالف ما يكون عليه عادة الأفراد العاديون.
2- قدرة تتسم بالأصالة في سبك عناصر البيئة بعضها ببعض واستنباط مركبات جديدة.
3- قابلية فائقة تتيح للمبدع، أن يصف بدقة وبقدرة وبكفاءة.
4- طاقة نفسية وروحية تمكن المبدع الذي تتمثل فيه الإتيان بشيء يتصف بمعنى جديد.

ثانيا.الأميروالبعد الإنساني:

النص امتداد بين السماء والأرض، بين الله والإنسان، بين العقل والإحساس، بين المطلق والحدود؛ إنه الكيان المعرفي المتحرك، الذي لا يستقر ولا يرضى بالحدود الصارمة، كما لا يقنع بالمرجعية الواحدة، ولعل ذلك أكبر محفز للقارئ كي يقوم بتفعيله واستنطاقه بحسب النية والغرض والهدف والحاجة، ووفق قانون قوة الكلمة الواردة فيه، وهي قوة لا يمكن أن تنافس الحقيقة العقلية.انفتاح مطلق لا يتحدد بحقل معرفي معين.

إذ نرى الكون بنظامه الطبيعي قد شغل الإنسان قديما وحديثا، وأن هذا الإنسان قد عبر عن تصوراه للظواهر الكونية من خلال اللغة التصويرية والكونية وعندما حكي الإنسان لنفسه قصة الظواهر الكونية ، لم يكن يود أن يقول أكثر ما قال في الشعر والأسطورة والحكايا ، فما قاله في شكل حكاية هو بعينه الحقيقة التي احسب ها لا أكثر ولا اقل[2]...فكل اختراع ثورة ..وكل اكتشاف ثورة، وكل إبداع ثورة تلامس الروح والنفس، تغيرها من حال إلى حال.

وهذا النموذج جاء ليكسر كل ثابت لصالح ما هو إنساني...لا توجد أجناس من الأجناس بل كله يعود للإنسانية. "الحق أن فكرة القيم حاضرة في الفكر الإنساني لينعكس ذلك على كل تعبير- خطاب- الإنسان خالق القيم "[3].

فالإبداع فعالية نفسية وطاقة وجدانية، وعملية فكرية، وسمات شخصية، إنه إشراق روحي وتفكير شعوري يرتشف المبدع عناصره من واقعه، فيتمثلها في نفسه ثم يصوغه بشكل جديد ليستقبله المتلقي لما فيه مما يرضي أصداء ذاته وتجديد معالم حياته.

- "الإبداع مفسر الحياة لوعي الإنسان.
- الإبداع منمق الحياة لولع الإنسان.

---

[1]- عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط2، 2000، ص11.

[2]- نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب ، القاهرة ، ط3 ، ص 23-24.

[3]-طه سليمان عبد الجيد، قيمة القداسة عند ميرسيا إلياد"، الهيئة العامة لقصر الثقافة، ط1، 2018، ص42.

- الإبداع مقرّب الحياة لشوق الإنسان.
- ليس الإبداع إلا وظيفة إنسانية.
- ليس الإبداع إلا وظيفة اجتماعية.
- ليس الإبداع إلا وظيفة حياتية"[1].

استغلال الأمير المعاهدة لدعوة بقية القبائل إلى الانضمام إليه وعمل على تعزيز قواته، وكما أنه شيد مصانع الأسلحة والذخيرة ومدارس التعليم، وعهد إلى تنظيم جيشه وساد البلاد الأمان والهدوء، وساد البلاد الأمن والهدوء.

أشار فيه على أن كونت ديرلون عارض بشدة التفاوض مع الأمير ورأى بأنه ليس عليه أن يقف منه سوى موقف معادي ، حيث تصادم مع الأمير بعد أن انضمت بعض القبائل إلى الفرنسيين ولأن تريزيل لم يحترم معاهدة دي ميشال وعدم قبوله إعادة القبائل الفارة، وهذا ما أشعل الحرب بينه وبين الأمير الذي كسبها الأمير

رأت فرنسا أن معاهدة التافنة على أنها نجاح وضربة معلم في الميدان السياسي ، ولكن الشعب اعتبرها إهانة له وأن الأمير أصبح حليفها فقد استطاع التغلب على الفوضى والتمردات التي كانت في تلك الفترة ، لكن الشعب الجزائري لم يقدر معنى الحرية والاستقلال ، ولم تكن لهم الرغبة في المساهمة في بناء دولتهم

منطق الدولة في فكر الأمير:

هذا النوع من المقاربة عالما رحبا ومفتوحا عمل على إنهاء العزلة الصارمة للنص، التي كانت تقف عائقا أمام التواصل بين النص والإنسان، الإنسان الذي أوجده، والذي سيتلقاه والذي سيبحث عن ذاته فيه لأنه يعبر عنه، بعيدا عن صرامة الحدود والتوجهات والرؤى، وأوجد ثقافة جديدة لها قيمها الخاصة وسلوكياتها ومفاهيمها، لتحليل خصائصها ومقوماتها وطرق تشكلها والإشباع الذي تحققه للمشتركين فيها، الذي يجب أن يستمر، ببعده الإنساني؛ ذلك أن إيديولوجيا التجديد والتغيير، التي تكسر الاحتكار الغربي تمتاز بكونها إيديولوجيا المساواة بين آداب العالم أجمع.

وفي هذا المقام نشير إلى أن القيم الإنسانية تكسر القيود وتخلق أجنحة لتطير وتستقر حيث سيكون الائتلاف والاستمرار؛ إذ""تعد القيم هي الدعوة الصريحة للإنسان لكي يمارس فاعليته على أوسع نطاق ممكن ولا يقف في وجه هذه الفاعلية شيء ما دام في وسع الإنسان أن يضفي على الكون من المعاني ما يشاء مثلما أضفي عليه من قبل معناه القديم دون وعي منه ثم ثبته وقدسه "تبدو القيمة حاضرة في سلوك الإنسان وهي التي تحدد اتجاه هذا السلوك و ترسم مقوماته وتعين بنيانه و من ثم يصح أن نعرف القيمة بالمعنى الأوسع على إنها بنية الواقع التي تلازم عملنا "وإنها طراز الشروع في العالم ووسمه سمات مطالبنا الدائمة أوالموقوتة؛ فالقيمة شرط كل الوجود و لكنها ليست بذاتها وجودا "إنما تبدو في ثوب شيء نرغب فيه أوهدف نبتغي نواله أو توازن نسعى إلى تحقيقه"[2] .

كما نرى النظرية-وفق جدل هذا النوع من القيم- نسقا ثقافيا، إذ تظهر الثقافة فعلا إنسانيا، يؤسس للإنسان في كل زمان، "الثقافة الآن كل شيء قد يتمثّله الإنسان ويتمثّله المجتمع من خلال العقل والمزاج، والذوق والحس والبيئة"[3] . وهي بالتالي نشاط يميّز الإنسان، تدخل فيه البيئة المحيطة به سواء كانت طبيعية أم اجتماعية، مادية أو معنوية، يمارسه مستعملا عقله وحواسه من خلال كل نماذج السلوك الاجتماعي المشترك بينه وبين أفراد المجتمع وبين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض وكلا التعريفين السابقين يمزج بين مادية الثقافة ومعنويتها، وكله من أجل إضفاء صفة العالمية والإنسانية على الجزئي الخاص ببيئة ثقافية معينة، لخلق نموذج جامع، يؤطر كل هذا.

---

[1]- عبد العلي الجسماني، نفسه، ص32.

[2]-طه سليمان عبد الجيد، قيمة القداسة عند ميرسيا إلياد"، الهيئة العامة لقصر الثقافة، ط1، 2018، ص42.

[3]- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، د.م.ج، الجزائر، ص 77.

الأميروالوطنية: من منطلق أن الوطن فوق الجميع، وأن الوحدة الوطنية هي ضمان الاستقرار والاستمرار، وأن دماء الشهداء أمانة في أعناقنا، وأننا عقدنا العزم على أن نعمل لكي تكون الجزائر وحدة متماسكة حرة مستقلة.وعليه، **نحاول بسط هذه القضايا ومعالجتها بعقلانية، وذلك للإبانة عن إسهام الأمير في تكريس منطق الدولة والمجتمع المدني ، وكذلك نحاول الوقوف على بعض المفاهيم والعمل على تصحيحها ومراجعة أبعادها، التي يمكن لها أن تساعد على إظهار التقارب، والعوامل المشتركة التي يسعى البعض إلى تغييبها والتعتيم عليها.**

1/المواطنة و أثرها في تحقيق الوحدة الوطنية:

من يتتبع سيرة الأمير يجد أنّ الوطنية ليست مجرد كلمة تكتب بل هي شعور يتدفق تجاه الوطن بالحب والولاء والانتماء . ولا يتأتى هذا إلا من خلال بناء المواطن الصالح الذي يقدم ما بوسعه، ويبذل أقصى جهده تجاه وطنه، الذي يحفظ معروفه وجميله ، الذي يجب أن يحفظ له معروفه وأياديه عليه والذي يتم تشكيله بتعزيز العلاقات التشاركية القائمة على ترسيخ فكرة التماسك وإقصاء عوامل التفكك والضعف.

وعلى هذا فإن الوطنية في كل مظاهرها هي الدافع الذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وتوحدهم وإلى ولائهم للوطن والدفاع عنه وتفعيل فكرة المواطنة التي تتبلور في الشعور بحب الوطن الذي يجب أن يغرس في المواطن في سنوات التنشئة الأولى وينبع من ارتباط الفرد في أول عهده بالبيئة مباشرة ومن ثم يتم تشكيل منظومة المشاعر التي تنتظم الشخصية التي يمكن أن نطلق عليها المواطن الصالح والمنتمي إلى أرض بلاده.

ويمكن تعريف الوطنية بأنها : " تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض، والناس والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ الثقافي وذلك للتمكن من خدمة الوطن والنهوض به. ومن هنا نتوصل إلى أن المواطنة (بعبارة أخرى) هي موقف الدولة تجاه المواطنين من أجل تحديد مالهم من حقوق وماعليهم من واجبات.

أما الوطنية فهي موقف المواطن الفعلي. الذي يتمتع بإمتيازات المواطنة تجاه دولتهبدافع الحب والارتباط بالوطن ، وهذا يعني أن صفة الوطنية أكثر عمقا من صفة المواطنة أو أنها أعلى درجات المواطنة ، بحيث يكون الفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى الجماعة أو إلى الدولة التي يعيش فيها ، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل الصالح الذي يخدم حركة الحياة في هذه الجماعة أو تلك الدولة ، وتصبح المصلحة العامة لديه أهم من مصلحته الخاصة .

وإذا كانت "الوطنية" كلمة "فضفاضة" فهذا يعني أنه ليس بالضرورة أن يكون كل شخص "وطنيا " فالوطني الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار، ويتجرد من كل الميول والأهواء النفسية لصالح "وطنه " كما يؤكد "ناثانسون" أن ثمة روابط تجمع بين أبناء الوطن الواحد سواء بالإيجاب أم بالسلب، وأن أي مؤثرات خارجية لايمكنها أن تؤثر بحال من الأحوال على هذا الانتماء للوطن ، وتقديم مصلحته على أي مصلحة أخرى .

ولقد حدد "ستيفن ناثانسون" في كتابه (الوطنية ، الأخلاق ، السلام) مفهوم الوطنية بأنه ينطوي على أربع مواصفات يمكن إجمالها كما يأتي:

1_ تعلق خاص بالوطن ؛ أي حب الإنسان لدولته موطن مولده ، والإخلاص لهذا الموطن ، والإيمان بقيمته وقدرته.

2_الشعور بالتطابق الكامل بين الشخص ووطنه؛ أي شعور المرء أنه جزء من وطنه ووطنه جزء منه فيحبه ويغار عليه ويتفانى من أجله .

3_ حرص خاص على صلاح الوطن وخيره ؛ أي ضرورة أن يحرص المواطن على رفاهية وطنه ، وأن يحافظ على مقدراته من الإتلاف أو العبث بها .

4 - الرغبة في التضحية من أجل تعزيز مصلحة الوطن ؛ بمعنى أن لايكون حب الوطن مجرد شعارات زائفة ، بل ينبغي أن تكون التضحية من أجل الوطن صادقة ونابعة من القلب ويجب أن تقدم مصلحة الوطن على أية مصلحة أخرى ، سواء كانت شخصية او حزبية ...إلخ .

–ترسيخ الشخصية الوطنية الجزائرية، وذلك بترسيخ معالم وحدة الأمّة بترقية القيم الجامعة للوطن وحفظها، والمتصلة بالإسلام،وكل ما يوحد أفراده، والوعي بحقيقة الانتماء إلى هوية تاريخية جماعية مشتركة، والتي تكرّسها رسميا الجنسية الجزائرية. وتجذير«الشعور الوطني» لدى المواطن؛ وتنمية« التعلّق بالجزائر وبوحدتها الوطنية وسلامة أراضيها.

–تقديم دراسات حقيقية وفاعلة من أجل تنشئة الشخصية على مفهوم المواطنة من خلال نشر ثقافة الديمقراطية، وترسيخ ما يضمن الانسجام الاجتماعي والوحدة الوطنية، بشكليساعد الفرد على الفهم الأفضل، والتقدير الأكبر لأهمّية الإسهام الفاعل والفعّال في الحياة العامّة، والإدراك الأوسع للتربية المدنّية.

–التفتّح على العالم والاندماج في الحركة التطوّر العالمية، وذلك بترقية التعليم ذي التوجّه العلمي والتكنولوجي، والمدرج في إشكالية التكوين الفكري واللغوي، إلى جانب اكتساب المعارف والمهارات.

–الوحدة الوطنية : الحقيقة الثابتة في ظل المتغيرات.

الوطنية فكرة عظمة، لأنها ترتبط بالوطن، والوطنية أن تشعر بارتباط شديد بوطنك، وتعمل مخلصاً في سبيل إعلاء شأنه، وتكون مستعدا لأن يضحي بمالك ونفسك، في سبيله؛ فالوطنية في كل مظاهرها تتمثل في الدافع الذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وتوحدهم ، وإلى ولائهم للوطن وتقاليده والدفاع عنه، ويتولد الشعور بالوطنية منذ سنوات التنشئة الأولى ، ومن ارتباط الفرد في أول عهده بالبيئة المباشرة ، والمشاعر التي تتولد لدى المواطن قد لا تستند إلى التفكير بقدر ما تستند إلى استجاباته العاطفية والفكرية، ما يجعلها ثابتة، بلا مزايدة بين جميع الأطراف، فثباتها من ثبات الوطن؛ الذي يواجه العديد من الآفات والارتجاجات البشرية التي تحاول زعزعة استقراره ووحدته.

ولعل التطرف أهم هذه الآفات، وهو يعدّ من أكثر القضايا إثارة للجدل والاهتمام من قبل رجال الفكر والتربية والثقافة والدين، فالتطرف مصطلح يستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال زيادة أو نقصانا، ويتباين من مجتمع لآخر وفقا للقيم والثقافة والعادات لكل عينة مجتمعية. وعليه فقد تعددت أسباب هذه الظاهرة وتنوعت، منها أسباب فكرية ونفسية واجتماعية، و يكون الباعث على ظهور التطرف عوامل اقتصادية أو تربوية ..إلخ .

في حياة الأمير عبد القادر مواقف عديدة، منذ ولادته في القيطنة [1]سنة 1807م إلى عودته إلى دمشق من الحج سنة 1864م ، من خلال نصف القرن هذا شهدت الجزائر تجربة الاحتلال الفرنسي وحركة المقاومة ضده، وشهد الشرق ظهور محمد علي وإصلاحات الدولة العثمانية حرب القرم [2] وفتنة الشام، وشهدت أوربا حروب نابليون وثورات 1848م والتقدم الصناعي ومحاولات الوحدة في كل من ايطاليا وألمانيا .وروى تشرشل تفاصيل عن مواقف الأمير من معاهدة دي ميشال ومعاهدة التافنة في عدة أماكن من كتابه [3]

كان أبو القاسم سعد الله يرى بأن سبب كتابة تشرشل لحياة الأمير هو إعجابه بشخصيته وشجاعته التي أبداها في محاربته للفرنسيين، كما أنه عهد على بعث القومية والروح الوطنية في قومه، لقد أبدى تشرشل إعجابه بفكر الأمير السياسي والعسكري وإنسانيته.

تمجيد بطولة الأمير عبد القادر الحربية ومواقفه الإنسانية: بوصفه زعيما وإنسانا وشريف قومه، ومصلحا.ومثقفا وفقيها، يهتم بعامة الناس، وفي إيمانه بالتقدم، والسلم، وتكريس قيم المسامحة في معاملة الأسرى من الأعداء وتدخله لإنقاذ المسلحين من الشام [4]

---

[1]- أصلها القطنة : وهي موضع القطون أي الإقامة والقطنة موضع الأمير وتبعد عن معسكر بحوالي 30م مرورا بوحنيفية

[2]- هي حرب خسرت فيها روسيا أمام تحالف من فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية وسردينيا (1853- 1856)م أنظر: محمد علاق ص ص 89

[3]- شارل هنري تشرشل ، حياة الامير عبد القادر، ط02، تر: أبو القاسم سعد الله الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 15- 21

[4]- مصطفى خياطي ، الأمير عبد القادر سجين فرنسا ، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار، وحدة الطباعة الروبية، 2013، (د ط) ، ص 69،

يرى أبو القاسم سعد الله أن تشرشل ركزا كثيرا على موضوعات التربية والتكوين الطبيعي والديني للأمير والبيئة الشعبية التي كان يتفاعل معها ، والنظام الإداري الذي حاول إقامته ومناورته وخططه العسكرية ، وروح التقدم والإصلاح التي تميز بها وحبه للدين وتعلقه به، وكرمه وعزوفه عن الدنيا وشهامته ، ويرى المؤلف كل ذلك في شيق متسلسل يكتسي طابع التحليل التاريخي [1]

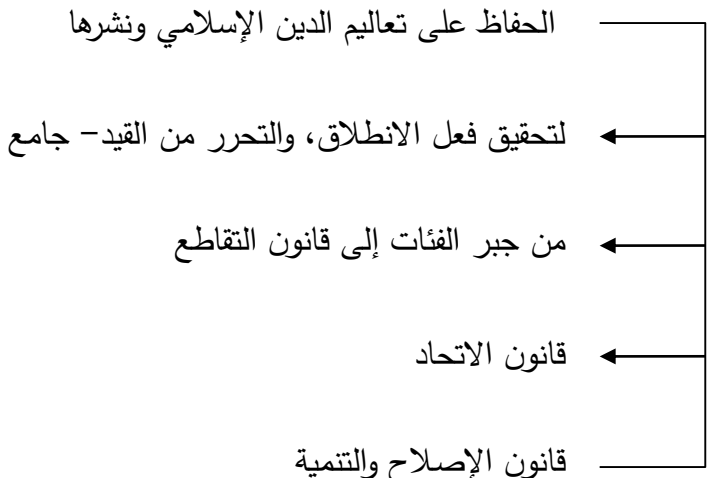

الهوية (IDENTITY) "عملية تمييز الفرد نفسه وتحديد كيانه الشخصي .. وتساعد هذه العملية بما يميزها من سمات(اسم، جنسية، سن، حالة، مهنة...الخ) " الفرد في تسهيل معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته.. ومبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو[3]، فلا نخلط بين الأمور أو بين الشيء وما عداه وأن لا نضيف للشيء ما ليس له.

ولكن، مصطلح الهوية لا يكتفي بكل ما هو ذاتي فحسب، وإنما يتجاوز حدوده إلى صفات تخص الجماعة؛ لأنه منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة تميّزها وتجعلها تعتّز بذاتها[4].؛ فهي بذلك:"مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحدّ الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون عمن سواهم من الأمم"[5]، كونها" تتضمن عددا كبيرا من السمات المعنوية والمادية المرتبطة في نظام واحد، وبقاء هذه الصفات أو زوالها، وإعطاء هذه الصفات أحكام قيّمة موضوعية لصراع حضاري ولظواهر اجتماعية وثقافية ونفسية"[6].

ليمكننا القول أخيرا أن "الهوية وحدة جماعة بشرية ما- كائنة ما كانت تناقضاتها أي تعددها- كما تتجلى في الخصوصيات، أي التجانس المتميز كما تصنعه الجغرافيا والتاريخ وكما تعبر عنه التطلعات الأصلية والأساسية لدى الإنسان"[7].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 52

(2) جمال شحيد ووليد قصاب، خطاب الحداثة في الأدب-الأصول والمرجعية، دار الفكر، سوريا، ط1، 2005، ص429

(3) جمال شحيد ووليد قصاب، خطاب الحداثة، ص429.

(4) محمد محمود شاويش، نحو ثقافة تأصيلية(البيان التأصيلي)، الدار العربية للعلوم، بيروت،، نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ط1،2007، ص32.

(5) محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية والعولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 115.

(6) محمد شاويش، نفسه، ص35.

)- الميلودي شغموم،المتخيل الهوية(الكرامات أنموذجا)، مجلة بصمات ، جامعة الحسن الثاني المحمدية، دار البيضاء، ع4، 1990،ص25.[7])

إذن تحديد مفهوم للهوية أمر صعب ومعقد صرح به الباحث في اللسانيات الاجتماعية نورمان فار كلوف (N.Faire clough) :" تحديد الهوية أمر معقد، أحد تعقيداته هي أنه لابد من التمييز بين الجوانب الشخصية والجوانب الاجتماعية للهوية: الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية "[1].

من حيث إنها الانعكاس المنسجم المتجانس لقيم الجماعة: آرائها- مواقفها- سلوكياتها- توجهاتها الفكرية- والنفسية- فلسفتها في الحياة وكل ما يتصل بالوعي الجماعي، لنكون بذلك أمام:

1- **الهوية الفردية:و** هي اكتساب بطانة الذات و إدراك الفرد نفسيا لذاته.
2- **هوية اجتماعية:** يسعى الفرد من خلالها إلى تعزيز الانتماء بمجتمعه. عبر عنها بارث1969 على أنها مزودة بفاعلية اجتماعية كما أنها ظاهرة مركزية في نظام العلاقات و تنظيم التبادلات في كل مجال الحياة.
3- **الهوية الثقافية:**هي صيرورة تاريخية شأنه شأن الوجود و هي ملازمة للثقافة فتعتبر ملكة أساسة لازمة للجماعة لأنها تقوم بنقلها عبر أفرادها و إليهم دون الرجوع للجماعات الأخرى[2]، يعزز بها قوة الانتماء إلى ثقافة ما مكتسبة.

إنّ الحفاظ على الهوية الثقافية متصل بتوفير الشروط الفكرية العلمية الاقتصادية وحتى السياسية اللازمة.

4- **الهوية الوطنية:**الهوية الوطنية في كل أمة هي الخصائص و السمات التي تتميز بها، يعزز الفرد بها روابط الولاء للنظام والتراب، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها ومنها تبرز شخصية المجتمع ومنها يستمد قوته لمواجهة تحديات الحاضر وبناء المستقبل فهي ترتبط بأخلاقيات و تفاصيل حيات شعب ماضيا و حاضرا ومستقبلا فتقوم على استحضار جوهر وجوده و استقراء أباب بقائه حفاظا على هذا الوجود من تحديات التشتت و الامحاء و التفكك و الإلغاء من خلال تعزيزه بمقومات الانتماء و المواطنة[3].
5- **الهوية الإنسانية: وهي مجموع الخصائص الإنسانية التي يميزها العقل والإدراك.**

والهوية ليست حالة من التملك، أو هبة تعطى، ولكنها صناعة وبناء يتشكل ويتطور كلما دعت الضرورة إلى ذلك، فهي المنجز البشري الذي يكتسب قوته وفاعليته من خلال نوعية الجهد الإنساني[4]، في ضبط الخصائص الحضارية التي ابتدعتها المجموعة البشرية من : لغة ودين وقيم ومهارات وفلسفة، لذلك اعتبر مفهوم الهوية موضوع جدل في أدبيات الفكر والثقافة.

ويتفاعل مصطلح الهوية مع مصطلح العولمة في علاقات جدل وتجاذب؛ فالعولمة تطارد الهوية وتلاحقها وتحاصرها وتجهز عليها، وفي دائرة هذه المطاردة تعاند الهوية أسباب الذوبان متشبثة بحق الوجود والديمومة.
ذلك" أن أكثر الاختراقات الغربية خطورة على الإطلاق هي محاولة طمس الهوية الثقافية للعرب والمسلمين وتحطيم منظومتهم الحضارية ومحو ذاكرتهم الجماعية،..يلجأ الغرب في ذلك إلى تفكيك البنى الثقافية وتشويه القيم الدينية للعرب

---

(1)- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب(التحليل النصي للخطاب الاجتماعي) ، ترجمة طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، ديسمبر 2009،، ص297.

[2]ينظر :إسماعيل صالح ، مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية تعلميه - دراسة ميدانية – مؤتمر فيلافيا 12 حول ثقافة الصورة، 2008/05/10.

[3]- إسماعيل صالح ، المرجع السابق، ص 6.

(4) ينظر: محمد البرغثي، نفسه، ص116.

والمسلمين والنفاد إلى معاييرهم الأخلاقية وخصوصياتهم المحلية وفلسفاتهم الحياتية بالوهم والتشويه"[1] والسخرية والاستهزاء، والعجب أن من يساهم في ذلك عنصرا مساعدا ثلة من المجموعة محسوبا عليها. وإزاء كل هذا يمكن تحديد ثلاث هويات متمركزة في الذات:

1- الهوية الموروثة : ذات جذور اجتماعية فكرية دينية محددة (كينونة).
2- الهوية المكتسبة: اكتساب مهارات تحفظ بها مبدأ الاستمرارية (التفاعل).
3- الهوية المرجوة والموعودة: جملة التفاعلات لمظاهر الكينونة في الهوية، وهي غير مكتملة (حركة توليد الفوارق في الهوية). إن الهوية بذلك حالة وجودية ومعطى حضاري للفرد في الجماعة.

من أسباب زعزعة الهوية في أنفسنا امتلاك الفرد للثقافة السطحية والتبعية وأحيانا التقليد الأعمى للآخر حتى في جلد ذاته وهويته، زيادة على نمطية التعامل وخضوعه لمبدأ الازدواجية والعولمة.

وعليه، يجب أن لا نبحث عن فكر وتراث وهوية بديلة فذلك يؤدي إلى التباين، بل يجب بحث كيفية تطوير هويتنا، كونها حركة ونشاطا فعالان؛ تقوي مكامن القوة في معالم الهوية التي تميز الحضور الإنساني في هذا الوجود الكوني بكل خصوصياته الحضارية والثقافية والفكرية وغيرها.

مصطفي خياطي (الأمير عبد القادر سجين فرنسا)

يقول مصطفي خياطي ' لا زال الوقت مبكرا لكتابة تاريخ مقاومة خارقة للعادة مثلها للأمير عبد القادر وهذا بالرغم من وجود ألاف الوثائق والمحفوظات في يد الفرنسيين ، إذ يؤكد حفيده الأمير (بديعة) أن ما قبل استسلام الأمير ما هو إلا محض تلفيق ولا يعدوا أن يكون (اتفاقا أمنيا) يؤمن هجرة الأمير نحو مكة.

لم يلق القبض على الأمير وهو يحمل السلاح بتاتا لا على يد الفرنسيين أو على يد المغاربة المرتبطة بمعاهدة طنجة، وفاوض الأمير لإيقاف المقاومة بنجاح ذلك مقابل نقله وعائلته نحو الشرق، وهو من فرض بذلك جميع شروطه وخرج بميثاق مكتوب من السلطات، وليس العكس، وعليه يمكن القول بإنّ الكتابة التاريخية لم تنصف الأمير وأصحابه باستخدامها لمصطلحات مثل (انهزام واستسلام وتخلي)، لأن الأمر متعلق بشروط والتزامات فرضها الأمير وقبلت من قبل الحكومة الفرنسية ، إذ وبمجرد أن تسلم الأمير الوثيقة المكتوبة والمختومة أوقف المقاومة وتوجه لمقابلة أومال[2]

يقول مصطفى خياطي: يمكن القول إن الأمير عبد القادر عندما أوقف المقاومة، كان على يقين، بأنه لابد للمسلم من الهجرة إلى بلدان أخرى، عندما تتعذر عليه حرية ممارسة شعائر ديانته في وطنه، وعندما تقف الظروف حائلا أمام أدائه لفرائضه[3]

وهذه أحداث حضرت بقوة وانتقلت بقوة، بوساطة خاصية انفتاح على بنيات مجتمعية متنوعة: المسرحي، الشعري، الديني، الحكائي، الصحافي، السياسي، التاريخي، ما يجعل هذه البنيات الخطابية تنخرط جميعا في إثراء مكوناتها.

عبر الآتي: توظيف التراث، خرق المحظور، التجربة اللغوية والسردية.

1. توظيف التراث:

بعد النجاح الكبير الذي حققته الرواية في السبعينيات القرن الماضي بعد أن اختارت الاهتمام بالمضمون واستقائه من عمق المجتمع اتجه كتاب هذا الجنس إلى تأصيل أعمالهم الروائية بتجاوز الأشكال الروائية التقليدية في التعبير وتجريب

(1) رشدي أحمد طعيمة/محمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي-المبادئ والآليات، دار المسيرة، الأردن، ط1،2009، ص59.

[2]- شارل هنري تشارشل، نفسه، ص 71

[3]- شارل هنري تشارشل،نفسه، ص 73

أشكال جديدة تنهل من التراث وتعيد توظيفه بشكل مغاير" ليس من اجل الانغلاق على الذات وتقديس الأجداد والماضي والحنين الرومانسي وإعادته، بل لمسائلة الذات من خلال مسائلة الماضي، والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة"[1].

فتوظيف التراث "هو عملية مزج بين الماضي والحاضر في محاولة زمن ثالث منفلت من التحديد هو زمن الحقيقة في فضاء لا يطوله التغيير"[2].

2. خرق المحظور:

صار الخرق المحظور أمر طبيعي مسلما به من المؤلف، فاخذ يتجول داخل النص بكل حرية، وبكامل التفاصيل دون خطوط حمراء يهابها، ذلك من اجل تخطي وتجاوز كل ما هو سائد ومألوف وتقليدي.

فمثلا نجد رشيد بوجدرة قد اخترق المحظور الديني في رواية التفكك. ولم تتوقف المحظورات التي اخترقت عند الدين فحس بل نجد أيضا الجنس الذي حظر من الرواية العربية لتداخله مع أحوال المجتمعات العربية فقد استأثر الجنس اهتمام الروائيين الجزائريين مما جعلهم يأتون على توظيفه في العديد من كتاباتهم.

كما كان للسلطة نصيب في الرواية التجريبية بعدما كانت خطا أحمر لا يمكن تخطيه شأنها شأن الجنس والدين، فقد أتى الروائيون على تناول القضايا السياسية و صورة الحاكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

3. اللغة:

وهي عماد التواصل، تمثل الوسيط بين المبدع و المتلقي، يتبعها المبدع أثناء كتابة الرواية وصياغة الأحداث، حيث تعد من أهم ملامح التجريب ذلك من خلال الاستغناء عن اللغة التلميحية واتخاذ اللغة المباشرة والتقديرية في كتاباتهم. كما نجد أن معظم الكتابات الروائية الجزائرية اتخذت العديد من اللغات ووظفتها في النصوص الروائية، وهذا ما أطلق عليه بالتعدد اللغوي، والمقصود من هذا الأخير أنه وسيلة للتجانس الطبيعي كما تبين المستويات الثقافية و الاجتماعية للمجتمع[3].

4. السرد:

"السرد هو فعل وعملية إنتاج النص السردي وتختل أشكال المخاطبة في وجهات لنظر سردية"[4].

حيث يستمد العمل الروائي قوته وقدراته من خلال براعة الكاتب، وفي تحديد لمفهوم السرد يقول حميد لحميداني:" يقوم الحكي عامة على دعامتين أساسيتين أولهما يحتوي على قصة ما تضع أحدا مبنية وثانيتها أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة وتسمى هذه الطريقة سردا، ذلك أن القصة الواحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة ولهذا فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في سير أنماط الحكي بشكل أساسي"[5]، وإذا ما بحثنا في الروايات التي اشتغل فيها أصحابها على التجريب في الجانب السردي نجد أنهم استلهموا هذه التقنيات المطروحة في التجريب الروائي العالمي ووظفوها في إبداعاتهم الروائية.

---

[1] محمد رياض وتار،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،دط، 2002، ص10.

[2] حسن علي المخلف، توظيف التراث في المسرح(دراسة في مسرح سعد الله ونوس)، الأوائل للطباعة والنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص41.

[3] محمد نجيب التلاوي، وجهة نظر في رواية الأصوات العربية-دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريا،دط، 2000، ص62.

[4] عبد الله أبو الهيف، المصطلح السردي تعريفا وترجمة في النقد الأدبي العربي الحديث، ص42، منتديات فرشروط WWW.FARHOUT.COM

[5] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، المغرب، ط3، 2000، ص45.

وسكن الأمير بالمدينة قرابة أربعة أشهر قرب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، حين أراد الرحيل من المدينة إلى مكة حيث تستغرق الرحلة أربعة عشر يوما وألحت عليه قبيلة حرب بأن تكون حارسته في رحلته لكنه اضطر للرفض لأنه كان معه عالمان ولم يرغب في ان ينفصل عنهما ، عاد الأمير الى دمشق ليكمل تعبده والدراسة والتدريس وأعمال الخير، ليختم المؤلف فصله هذا بملخص لما جاء في متن كتابه وألحق كتابه بنصوص ومعاهدات ورسائل كتبها الأمير وهي كالأتي:

- رسالة من الأمير إلى المؤلف
- نص معاهدة دي ميشال
- نص معاهدة التافنة (العربي الذي كتبه برسافون سنة 1853م
- رسالة الأمير عبد القادر الى السلطان عبد المجيد الثاني سنة 1841

الدوامة التي وقع تحت سطوتها الإنسان المعاصر الجزائري، فأصبح في عالم سوداوي الإنسان فيها ضحية صودرت إنسانية بالعنف و الخوف ، فالحرب تثير الفزع لأنها تخرج الإنسان عن المألوف إنها شيء جديد عليها هي الحرب و لا قانون بعدها يحكم، الإنسان فيها أصبح وسيلة لتحقيق غاية ولم يعد غاية يقصد لذاتها و غدا للإنسانية مفهوم مشوه قابل للشك و الريب، إنه التمرد و العبث وألامعقول نظرا للتناقضات العجيبة في الرواية ؛ " القاتل يزداد إجراما و قتلا وهربا من حسرته و ندمه و المقتول يتشبث بالأرض علها تحميه و تضمه إليها وأحيانا يتوحد بالموت و يصبحان شيئا واحد[1]خواء مطلق و حنين موجع وعطش مميت، الماء القدامى ولا الحقة، إني جمرة التهب كلما ازداد هبوب الريح[2]وقمة اللامعقول تكمن في تصوير الروائي للحيوانات بأنهم أشد رحمة من الإنسان:كلب راح يشتم الجثث أرسل عواء موجع عندما تعرف على واحدة منها راح يجر الرأس من الشعر حتى أوصله إلى الجثة"[3]إنها قسوة الحرب التي قتلت في الإنسان الإنسان فقد كان القتل الجماعي يجري بصورة لا مثيل لها، إن لها دائما ما يبررها، و مادام المرء في الحرب فلا عمل له سوى الحرب(4)

و بهذا، فوطار قد عرف كيف يوازي بين الكتابة الواقعية، و بين التجريد و السريالية في بلورة اللاتاريخي في التاريخ، إن الرواية ترفض الواقع و تميل من الرموز إلى إعادة تشكيل الواقع و استنفاذ بائتلاف أسلوبي يتكئ على خصوصية إبداعية مشعة و نافذة.

- التصوف هو الإحساس بالموت والبعث ألف مرة في كل يوم، حتى يصير روحًا للعالم كله و سببًا لإحياء الأفئدة الأخرى، وهو إفناء الإنسان لنفسه في وجود الله تعالى، وإخفاء المرء نفسه بالقرب من الله عزّ وجل الذي تجلى في رحلة المعراج واتضح في الآية الكريمة { فكان قاب قوسين أو أدنى}(النجم/ 09).

- التصوف هو إعطاء الروح للحبيب والنجاة من كل أنواع الأسر الفانية؛ والتصوف من هذه الناحية هو أن تكون روح الحبيب حقا، أي أن تكون محبوبًا أيضا من طرف الحبيب، لهذا فالتصوف هو أن تكون شريعة محمد – صلى الله عليه و سلم – دليلا في الفؤاد.

وعليه فالتصوف حقيقة قائمة بذاتها تستند إلى فكرة عامة جامعة مهما اختلفت الطرق والتفصيلات بينها، وهم ليسوا جزرا منعزلة عن مجتمعاتهم، بل إنهم يتمتعون بتأثير لا ينكر في الحياة الاجتماعية والثقافية في مواطن تواجدهم على اختلاف طبيعتها .

([1])-ترشرل ، نفسه، ص98.

([2])-تشرشل ، نفسه، ص89

([3])-تشرشل، نفسه، ص111

([4])-تشرشل، نفسه، ص114.

إذا فالتصوف لا يقوم على الهروب من واقع الحياة كما يدعي خصومه، ولكنه ربما هو محاولة من إنسان العصر الحديث للبحث عن قيم روحية حيوية تعينه على مواجهة الحياة المادية بكل ما فيها من سلبيات ومساوئ، وتحقق له التوازن النفسي الذي يضمن له ممارسة حياته بشكل أفضل ينحو به إلى الاستقرار والصمود في مواجهة المصاعب والمشكلات، ومن ثم فإن التصوف فكرة تدعو إلى فعل إيجابي يربط الإنسان بواقعه ويثبت وجوده في نسيج مجتمعه .

ونحن بهذا نتحدث عن التصوف الإسلامي بوجه خاص، والذي يحمل من المبادئ الإيجابية ما يدفع المجتمع إلى الأمام، مثل إبراز فكرة محاسبة النفس باستمرار حتى يصحح أخطاءها ويستكمل فضائلها، ويركز على اعتدال النظرة إلى الحياة فيجب على الإنسان ألا يتهالك على شهوات نفسه وينغمس في أسبابها إلى الحد الذي ينسى فيه روحه وربه فيشقى.

والتصوف ينظر إلى هذه الحياة باعتبارها وسيلة لا غاية، يتحرر فيها الإنسان من عبودية حب المال وغيره من الشهوات التي زينت له، كما ورد في القرآن الكريم: {زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب} (آل عمران/14).

وهناك خمس خصائص نفسية وأخلاقية للتصوف:

1- الارتقاء الأخلاقي: فكل تصوف له قيم أخلاقية معينة ويهدف إلى تصفية النفس من أجل الوصول إلى تحقيق هذه القيم، ولابد له من مجاهدات بدنية ورياضات نفسية وزهد في ماديات الحياة.

2-الفناء في الحقيقة المطلقة: وهو أن يصل الصوفي من رياضاته إلى حال نفسية معينة لا يعود يشعر معها بذاته كما يشعر ببقائه مع حقيقة أسمى مطلقة، وأنه قد فنيت إرادته في إرادة المطلق، وهنا ينطلق بعض المتصوفة إلى القول بالاتحاد أو إنها حلت فيهم.

3-العرفان الذوقي المباشر: وهذا يعني أن وراء إدراكات الحس واستدلالات العقل منهجا آخر للمعرفة بالحقيقة يسمى كشفًا أو ذوقًا، وهذا الكشف الذي يذهب إليه الصوفية برهي أو آني فهو سريع الزوال وهو أشبه بالومضة المفاجأة.

4-الطمأنينة أو السعادة: وهي خصيصة مميزة لألوان التصوف المختلفة، فالتصوف يهدف إلى قهر دواعي شهوات البدن أو ضبطها، وإحداث نوع من التوافق النفسي عند الصوفي وهذا من شأنه أن يجعله متحررا من كل مخاوفه شاعرا براحة نفسية عميقة تتحقق معها سعادته.

5-الرمزية في التعبير: وهذا يعني أن لعبارات الصوفية معنيين أحدهما يستفاد من ظاهر الألفاظ والآخر بالتحليل والتعمق، والمعنى الأخير يكاد يستغلق تماما على من ليس بصوفي. فلكل صوفي طريقة معينة في التعبير عن حالاته، فالتصوف خبرة ذاتية ما يجعل التصوف شيئا قريبا من الفن، خاصة وأن أصحابه يعتمدون في وصف أحوالهم على الاستبطان الذاتي، وفلسفة هذا شأنها يصعب فهمها على الغير، ولهذا توصف بأنها رمزية.

وللتصوف عند الأمير عوامل منها: **أ- العوامل الفكرية:**

وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري، وتوارثوه أبًا عن جد، فقد ولد لنا رجال صوفيون بارزون في الجزائر والمغرب وولد معهم احترام الخاصة والعامة لهم، نجد من بينهم "أحمد بن يوسف الراشدي" بعين مليانة و"محمد أفغول" و"عبد الرحمن الثعالبي" و"محمد التواتي البجائي" و"شعيب السنوسي" و"الشيخ أبو مدين"، ويضاف إلى ما سبق تأثر كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة "الإمام الغزالي" التوفيق بين الشريعة والحقيقة

ب- العوامل السياسية :

أهمها سقوط الأندلس وهجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمجتمع الجزائري فنشروا أفكارهم في الوسط الجزائري، كما أن سقوط الدولة الموحدية سبب من أسباب انتشار التصوف في الجزائر.

ج- العوامل الاجتماعية :

انتشار حياة الترف والبذخ عند عدّة فئات من المجتمع؛ وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم. والصوفية تحارب هذا الانحراف مما انعكس إيجابا على انتشار أفكارهم وطرقهم.

الزاوية هي ركن البناء كانت تعني في بادئ الأمر المسجد الصغير أو المصلى، وأصبحت تعني المكان الذي يضم مسجدًا ومدرسة لتحفيظ القرآن ودارا للضيافة تتبعه أملاك وأوقاف، وهذا ما يثبت لنا أن الفضاء يرتبط بنشاط الإنسان وتجربته ضمن التكوين المادي له من حيث الجمع بين الاسم والفعل الإنساني، فإن هذا الفضاء يمكن أن يتم تطويره ليشكل بيئة مثالية كي يثير الاستجابات العاطفية أو ينتج سلسلة متكررة من الاستجابات الحسية.

ويمكننا القول إنّ علاقة الإنسان بالفضاء تكمن في كونه منتجًا وليس معطى، ينشأ ويبدع و يحمل معاني تحاور الفكر وتستفزه، في الوجود المادي فقط، وإنما هو الوعاء الذي يحتضن المعنى أو الوجود المردود إلى المعنى مما يتولد عنه استجابات حسية متكررة يصبح من الصعب تغييرها عند الإنسان، بل إن هويته وقيمته تصبح لصيقة به.

ويرى البعض أن الزاوية مرادفة لكلمة رباط، وهي تلك الحصون والقلاع التي كانت تقام على الثغور للجهاد في سبيل الله، وفي أوقات السلم كانت تقوم بأنشطة تعليمية واجتماعية ومع مرور الوقت تخلت عن دورها الأول للتفرغ للثاني. ويرى البعض أنها مشتقة من الفعل زوى بمعني جمع، وسميت بذلك لأنها تجمع العلم والضيوف والفقراء، ويرى دوماس أن الزاوية هي مدرسة دينية مجانية ومكان للضيافة، وهي تشبه الدير في العصور الوسطى، أما عند الصوفيين فهي مكان التقاء الشريعة بالحقيقة.

ومن هنا يمكن القول إنّ الزاوية هي مؤسسة إسلامية ذات طابع علمي واجتماعي وروحي، اقترنت في كثير من الأحيان بالطرق الصوفية وكانت مكانًا يلتقي فيه المريد مع الشيخ لتلقي الأوراد والذكر. وقد بدأ انتشار الزوايا في المغرب الإسلامي عامة والجزائر على وجه الخصوص منذ القرن الثامن الهجري ومع حلول منتصف القرن الثالث عشر كانت لا تخلو ناحية من أنحاء الوطن من وجودها ومن هذه الزوايا الزاوية البكرية بأدرار والتي تأسست على يد الشيخ البكري سنة 1117هـ – 1705م ومؤسسة محمد بن الكبير التي تأسست سنة 1370هـ – 1950م.

ب-حقيقة الزاوية وفاعليتها في المجتمع:

اهتمت الزوايا في فترة الجزائر العثمانية، وإلى يومنا، بإعادة التوازن السياسي والمجتمعي والعلمي والثقافي، بعد ظهور ذلك الشرخ الذي أحدثه جمع الضرائب والأتاوى، والذي تحولت معه البلاد إلى الاستهلاك المفرط بدلا من الإنتاج. ولما كانت الثقافة نسيجًا رمزيًا يصنعه الإنسان، أو مجموعة من الأنظمة الرمزية، التي تتكون من العلاقات العلمية والدينية، والاجتماعية والتاريخية والفنية والاقتصادية، وغيرها، والتي تتموضع بين العلم والتجربة، يمكن عدّ الزاوية نظامًا ثقافيًا رمزيًا له امتدادات معلومة، بدءًا باللغة وصولًا إلى الدين، بل هي أوسع من ذلك حيث تجسد الانتماء والحماية.

فصار لزاما إعادة ترتيب مهام المجتمع ثقافيًا وسياسيًا وفكريًا، بالارتكاز على تكوين الفرد وسط الجماعة، وتنمية الطاقات القيادية واكتشافها، وبما أن الزوايا ليست مجرد فضاء مكاني محدد بإطار زماني ينتهي دوره بموت المرابط أو أهل الرباط(المرابطين)، فإن الزاوية تعني في بعدها الممتد ركيزة البناء الذي لا يكون إلا إذا أقيمت زاويته.

استمر عمل الزوايا ردحًا من الزمن(فترة الاحتلال الفرنسي)، محافظة بذلك على الهدف الأول ويقصد به التصوف الجهادي، فكانت للطريقة السنوسية بليبيا جذور بالجزائر يمثلها بوعمامة وغيره، والطريقة الرحمانية يمثلها الشيخ الحداد المقراني وعائلة لالا فاطمة نسومر، والطريقة القادرية يمثلها الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ومن والاه.... وغيرها من الزوايا الفاعلة التي ركزت على:

_ الاعتماد على تجارب الأولين الحربية والتكتيكية، وفن المعاملات، حيث ركزت على فنون التعامل مع العامة.

_ أنشأت طرقا جديدة في التوعية والتوجيه بإيصال الزوايا بما عهده المجتمع، أو بما ينصت له ويتبعه العامة .

_ مجالس الطلبة في المآتم، وأينما كانت التجمعات لتحقيق ما يأتي:

_ تجميع النساء كما فعلت الزاوية الرحمانية في وقت الاحتلال.

_ حفظ القرآن والعمل بما جاءت به السنة

_ تولي شؤون الزواج والمعاملات.

_ استطلاع هلال رمضان والأعياد وفتاوى الأضاحي، والحساب الفلكي.

_ الإبلاغ بسن الصيام لمن بلغ.

_ جعل الزوايا بيوتا لعابري السبيل،- وأماكن لفض النزاعات والمشاحنات.

_ ومراكز للتخطيط وإبداء الرأي.

_ ومكانا لغرس فكرة التكافل والتويزة(ومعناها التعاون، وهي موروث ثقافي يتم فيه تجمع وتعاون جماعة من المجتمع أو القرية من أجل المساهمة في إنجاز عمل خيري أو مساعدة محتاجين أو فقراء أو بناء منزل لشخص أو مسجد أو جني حقول القمح وأشجار الزيتون)، والعشور(أي التصدق بالعشر من رزق الله تعالى للفرد) .

_ تفعيل دور الهرمية في المجتمع، والتدرج القيادي وفق:

أولا:الشيوخ. ثانيا: الأعيان ثالثا: المقدم رابعا: المريد خامسا: الطلبة.

والانتماء للزاوية يكون على أساس أنها الفضاء الفكري الثقافي، الذي من خلاله نجد:

_ المخطوطات: الفلسفية والدينية واللغوية والأدبية والعلمية(علم الفلك والطب والمنطق، وما كتبه المشايخ أو ذيلوه للكتب التي نقلت جيلا عن جيل في شكل شروحات).

_ إن ما وصلنا من حكايات وألغاز وأمثال وحكم ونوادر لم تخرج عن إطار التكوين المتنوع الذي سعتإليه الزوايا الفاعلة، فكانت خطابا مضادا لخطاب المحتل الظاهر والباطن.

ولخطاب الزاوية معان وأبعاد، ومنها أن:

- خطاب الزاوية خطاب حمل لواء تعليم لأفراد المجتمع، في سبيل الحفاظ على اللغة والدين.
- تركيز الخطاب على مواجهة الفكرالاستدماري من خلال ثقافة فكر جديد لغة ومذهبا.
- الجمع في الخطاب بين التجربة والأداء مرتكزاعلى التراث.
- اهتمام الخطاب بقضية توزيع الطلبة استراتيجيا في مناطق جغرافية داخل الوطن وخارجه.

الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأنه خطاب إيجابي حارب الزوايا السلبية التي عمل المحتل على إنشائها لضرب القوة المناوئة له. وكان بعض المتعلمين ممن ركزوا على وجه واحد للزوايا، وغفلوا عن الوجه الآخر الذي أفاد من دراسة المجتمع ثقافيا، وحرص على تكوين نظرة شاملة عن الوضع العام للجزائري في فترة الاحتلال، وأفاد كذلك من خبرات السلف استطاع وبإمكانيات بسيطة:

- إعادة ترتيب المجتمع.
- ضم الأفراد تحت لواء واحد.
- إعادة غربلة التفكير السائد ونبذ فكرة الانصياع للعدو.
- استثمار الطاقات وإعادة بعث الفكر القيادي.
- الرد بالطرق ذاتها.

ونقصد بذلك البحوث الأنثروبولوجية التي كان يعتمدها المحتل، فقد أجمع أهل الزوايا على إعادة تشكيل جيل جديد مقاوم للفكر التدميري ، وبذلك فقد حافظت الزاوية على العقل والنقل.

ج- الأميرودوره في تفعيل الزوايا في المجتمع: ويكمن ذلك في:

1- المحافظة على الهوية الوطنية:

الهوية الوطنية هذه الهوية تشكل الدعامة الأولى للمجتمع الجزائري بمكوناتها الثلاثة الإسلام واللغة العربية ومنذ قدوم الاستعمار وإلى اليوم نلاحظ أن الكثير ممن دافعوا عن مقومات الأمة ورواد الإصلاح في الجزائر كانوا طرقيين أو من خريجي الزوايا.

لم يقتصر نشاط هذه الزوايا على التربية والتعليم والتحصين الثقافي والحفاظ على اللغة العربية والتقاليد الإسلامية والهوية الحضارية فحسب، بل وتجاوز ذلك للقيام بأنشطة سياسية لاسيما في عهد الاستعمار، ولم يعتمد شيوخ الزوايا على الدولة لتؤسس أو تمول لهم زوايا يواصلون منها رسائلهم التعليمية، وإنما اعتمدوا بشكل أساسي على الجهود الذاتية ومساعدات المسلمين، كما التف الناس حولهم وساندوهم.

لقد تصدت الزوايا للاستعمار الفرنسي وتجلى ذلك من خلال:

- نشر تعاليم الدين الإسلامي.
- الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، والدعوة إلى مقاتلته.
- الوقوف إلى جانب المقاومات الشعبية وتأييدها في مواجهة الاستعمار الفرنسي.
- تعبئة أهالي المنطقة لمحاربة الاحتلال وإعلان الجهاد ضده.

إنّ الحفاظ على الهوية الثقافية متصل بتوفير الشروط الفكرية العلمية الاقتصادية وحتى السياسية اللازمة، فقد تضاعف دور الزاوية في ظل المأساة الوطنية إبّان العشرية السوداء؛ إذ بعد الأحداث التي عرفها الشعب الجزائري في العشرية الأخيرة من القرن الماضي كان موقف الزوايا والطرق الصوفية واضحًا وكانت دومًا بعيدة عن التطرف والعنف سبيلًا لحل المشكلات.

فدور الزوايا الرئيس يكمن في نشر الوعي بين أفراد الشعب يكون من خلال تغذية الصغار بالروح الوطنية، ومثال ذلك ما ذكره المجاهد الحاج التومي سعيدان عن إنشاء المؤسسة الفدائية لجمعية الرماية والزاوية القادرية، وكان من مهامها تدريب الشباب على الرماية وتوعية الشعب، وكان نشاطها تحت مسؤولية وتوجيهات رجال الطريقة القادرية وشيوخ الزوايا بمنطقة عين صالح أو زاوية "الشيخ سيدي محمد بن الكبير" بأدرار؛ والتي كان لها دور ريادي كبير خلال ثورة التحرير، تجلى هذا الدور في تلك الدروس والمواعظ التي كان الشيخ يلقيها يحث فيها الناس على الصبر والثبات والجهاد في سبيل الله.

2-الدور التعليمي والتربوي الروحي في الزوايا:

يتمثل هذا الدور في نشر العقيدة بين العباد والمداومة عليها والسمو بالإنسان إلى المراتب العليا في مراقبة الله عز وجل وحسن الصلة به، فالشيوخ والعلماء أسسوا زواياهم على تلك المبادئ وآمنوا أنه لا تصلح أمتهم إلا بالعقيدة الصحيحة التي تملأ قلوب أبنائهم. كان المسلمون في تلك الفترة بحاجة إلى دعاة وشخصيات قوية تجمع بين القرآن الكريم وتعليمه وتزكية النفوس، فاجتهد الشيوخ والعلماء في تجديد دعوة الإيمان وإعادة أخلاق المؤمنين المخلصين للأمة، حيث حققت الزوايا في ذلك نجاحًا خاصة ما تعلق بتهذيب النفوس، وإحياء الإيمان في الأمة من جديد.

وكانت الزوايا عبارة عن مدارس ومعاهد لتعليم الشباب في كل المستويات ومراكز لتنوير العامة، حتى أصبحت قبلة للطلاب من كل الجهات، وتحولت إلى مدارس عليا وجامعات تدرس فنون العلم المختلفة من عقيدة وفقه إلى علوم اللغة وغيرها.

إذ يعد التعليم إحدى الوظائف الأساسية للزوايا والطرق الصوفية، ومنهجها في التدريس مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي عمل على محو القيم الإسلامية وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية بشتى الوسائل وبمختلف السبل وحول العديد من المساجد إلى كنائس، وبدأ في نشر المسيحية ومنع تدريس اللغة العربية. وقد صرح الجنرال كامو بعد التفتيش العام بأن المراقبة الصارمة لتعليم الجزائريين

هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن استمرار الاستعمار، ولذا يجب تقليص عدد المساجد والكتاتيب، وصدرت الأوامر بإحصاء الزوايا والشيوخ والطلبة ومعرفة اتجاهاتهم وعلاقاتهم بالطرق الصوفية والمقاومة .

وفي إحصاء يعود لسنة 1851م، وُجد أن عدد الزوايا في الأرياف بلغ 593 زاوية تضم 8347 من الطلاب الذين أنهوا المرحلة الأولى، فحفظوا القرآن وتعلموا القراءة والكتابة والحساب وبعض المتون وكان الكثير من الزوايا بالرغم من الصعوبات التي كانت تعترضها توفر لطلابها نظامًا داخليًا يضمن لهم الأكل والمبيت والاستفادة من جميع مرافقها.

وبعد الاستقلال واصلت الزوايا والطرق الصوفية رسالتها التعليمية إلى جانب المنظومة التربوية، حيث أحصت مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار مثلًا في 2006م حوالي 23 زاوية بالولاية كانت تضم 3614 طالب. كما أن الطرق الصوفية أنفقت بسخاء لنشر تعاليمها وأورادها، حيث كانت معرفة الأوراد شرطًا أساسًا من شروط التصوف وهو ما ساعد في القضاء على أمية الحرف.

وتكفل بهذا الدور النخبة من أتباع الزاوية، لتعليم القراءة والكتابة، وبدأت تتجسد ثقافة النخبة، وتظهر هذه الثقافة بشكل لافت في المجتمعات الطبقية حيث نجد التميّز بشكل بارز في سلوكيات حياة النبلاء والأرستقراطيين وأساليبهم بحيث تتضمن الثقافة النخبوية الأعمال الراقية التي يقدمها المبدعون في مجالات الفنون المختلفة؛ من أدب وشعر، ومسرح ونحت ورسم، وهي تشمل طريقة الحياة المادية والروحية، وتمتد من طريقة المأكل والملبس إلى مكونات الذاكرة الجماعية والخيال الاجتماعي، وتتميز بتفوق ذاتي.

3-الدور الاجتماعي وقيم التكافل والتضامن:

كان الورد يلغي جميع الفوارق ويجمع المريدين حول محبة الشيخ وطاعته، ومن ثم تذوب الفوارق الجهوية والعنصرية بين أتباع الطريقة أو الزاوية وتخلق جوًا من التضامن والتآزر. ولم يكن الشيخ ليحصل على الحماية لولا وجود مريدين وزوايا الطريقة، وواصلت الزوايا هذا الدور بعد الاستقلال فدوما نجد الزوايا والطرق الصوفية في مقدمة المتضامنين عند حدوث العوارض والكوارث، وقد أسهمت تلك الزوايا والطرق الصوفية في ربط وشائج القربة بين الجزائر والكثير من البلدان خاصة دول الساحل جنوبًا؛ باعتبار التكافل سلوكًا إنسانيا، فإن السلوك بوجه عام حالة ثقافية منتجة للمعاني.

وهكذا أدّت الزوايا دورًا كبيرًا في رعاية الفقراء والمحتاجين، وتجلى دورها أكثر في المظهر الاجتماعي، فقد جمعت بين التعليم والعبادة والنشاط الاجتماعي وكانت ملجأ للمحتاجين والأرامل والأيتام والفقراء.

4-إصلاح ذات البين بين أفراد الشعب:

من بين الوظائف الأساسية التي دأبت الزوايا والطرق الصوفية على ممارستها عبر العصور إصلاح ذات البين ورأب الصدع، بين أبناء الشعب الجزائري في الشدائد والمحن التي مر بها ، وفي كل ما يقع من أحداث مؤسفة حيث كان الشيوخ يهرعون لإطفاء نار الفتنة وقد قام أئمة بعض الزوايا وشيوخها بعمل مبادرة للصلح والتقوا بجميع الأطراف، وتمحور اللقاء حول معاني الأخوة وإطفاء نار الفتنة ووحدة الوطن مقترحين تبادل الزيارات في المناسبات وغيرها بغية التقارب. وكذلك قام شيوخ الزوايا بإصلاح ذات البين بين المتنازعين والتي آتت أكلها وتم وأد الفتنة في مهدها.

إن الزوايا والطرق الصوفية تعد ركائز أساسية في المجتمع الجزائري، فقد كان لها دور أساس عبر العصور، خاصة إبان الاستعمار الفرنسي، حيث كانت حاضنة للمقاومة الشعبية وأسهمت في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية، ولهذا سعى المستعمر بكل الوسائل إلى محاربتها وتشويهها وتجريدها من الوقف بغية القضاء عليها، وبعد الاستقلال واصلت مهامها في خدمة الوطن والوقوف إلى جانبه، خاصة في الشدائد والمحن.

5-نشر الوعي:

يحاول أتباع الزواي نشر الفكر والوعي عبر وسائل الثقافة الجماهيرية، بحكم ارتباطها بوسائل الإعلام الجماهيرية، وتمثل المضمون الذي تبثه هذه الوسائل وما يحتويه هذا المضمون من معارف، وسلوكيات وأنماط حياتية مختلفة، ويظهر دور الزاوية هنا بالتركيز على هذا الجانب عبر وسائل التواصل الاجتماعي، من أجل نشر الأفكار النيّرة الخاصة بها، وقنوات التيلفزيون كقناة القرآن الكريم مثلا، والمشاركة في برامج تلفزيونية اخرى لتوصيل الفكرة إلى أكبر شريحة ممكنة من المجتمع ، إيمانًا منهم بأن هذا النوع من الثقافة هو ضرورة حتمية فرضتها حركية تطور المجتمعات، والقادرة على الإسهام في تقريب البشر بعضهم من بعض، وفي سبيل التفاعل مع أكبر شريحة من أفراد المجتمعات من خلال قوة حضورها، في سبيل نشر الوعي الحقيقي .

البعد الاستشرافي في فكر الأمير:

أمام الروح وعوالمها..والسماء وأبعادها..والأرض وخباياها..والأجل وغموضه..والغيب وتساؤلاته.. والأبد واحتمالاته..والبداية والنهاية..الخلق والبعث..وحده العقل راعي تلك الخبايا والمجاهل.

لأن"الانخراط الجسدي للقارئ يعني أبعد من مجرد التماهي مع شخصية المتلفظ الضامن، فهو يستتبع "عالما أخلاقيا" هذا المتلفظ الضامن هو جزء لا يتجزأ منه، وهو الذي يسمح بالولوج إليه"[48] النمطية المرتبطة بالسلوكات المتنوعة والمختلفة التي تعود إلى الإنسان.

من خلال المحطات الاتية في حياة الأمير:

1833م: الأوضاع التي تأزمت في فرنسا، وذلك بعد الإطاحة بأسرة البورمون وهي التي تكون مسؤولة عن احتلال الجزائر آنذاك

1834م: استغلال الأمير المعاهدة لدعوة بقية القبائل إلى الانضمام إليه وعمل على تعزيز قواته، وكما أنه شيد مصانع الأسلحة والذخيرة ومدارس التعليم، وعهد إلى تنظيم جيشه وساد البلاد الأمان والهدوء، وساد البلاد الأمن والهدوء[49]

[48]-دومنيك مانجينو، نفسه، ص772.

[49]– تشرشل، نفسه، ص 122

1835م:نشير إلى أن كونت ديرلون عارض بشدة التفاوض مع الأمير ورأى بأنه ليس عليه أن يقف منه سوى موقف معادي ، حيث تصادم مع الأمير بعد أن انضمت بعض القبائل إلى الفرنسيين ولأن تريزيل لم يحترم معاهدة دي ميشال وعدم قبوله إعادة القبائل الفارة، وهذا ما أشعل الحرب بينه وبين الأمير الذي كسبها الأمير

1836م: يوضح تشرشل في هذا الفصل أن ما أصاب الأمير من إحباط وتخلي من كانوا معه عنه، إلا أنه وقف من جديد واستعادة سلطته ووقف أمام العدو وصدهوخاض ضدهم معارك كان منتصرا فيها[50]

1837:المكانة التي وصل اليها الأمير والشروط التي وضعها لفرنسا للتفاوض معها والاتفاق معها دليل واضح على ما وصل إليه من نجاح باهر،

1838م: رأت فرنسا أن معاهدة التافنة على أنها نجاح وضربة معلم في الميدان السياسي ، ولكن الشعب اعتبرها إهانة له وأن الأمير أصبح حليفها فقد استطاع التغلب على الفوضى والتمردات التي كانت في تلك الفترة ، لكن الشعب الجزائري لم يقدر معنى الحرية والاستقلال ، ولم تكن لهم الرغبة في المساهمة في بناء دولتهم

1839م: يشير فيه إلى الخلل الذي كان في معاهدة التافنة، وفي الكلمات والمعاني نتيجة ترجمة نصها من العربية إلى الفرنسية كان سببا في خرق الجنرال بوجو للمعاهدة.

1939م: انتظار فرنسا اعتراف الأمير على السيادة ولكن لم ينجحوا في ذلكم ، لا سيم اعترفوا به كرئيس لدولة مستقلة ، وحين عجزت السلطات الفرنسية في الحصول على ما تريد من الأمير لجأت إلى تفسيرات وتحميل العبارات ما تطيق مما تسبب من جديد في التوتر بين الطرفين واستئناف الحرب.

1839- 1840م: اجتاز الفرنسيون المنطقة التي كانت تحت حكم الأمير بجوازات سفر مزورة، مما خرق بنود المعاهدة ، مما جعل الأمير وخلفائه يجمعون على الحرب دون تراجع وتغلب على القوات الفرنسية بعد هذه الحرب.

1841- 1842م : تحدث عن الصراع بين فرنسا والجزائر والمضايقات التي واجهها الأمير من طرف أهله وخلفائه على مخازن المئونة، والسلاح من طرف القوات الفرنسية مما دفع بالأمير الى أنشاء عاصمة متنقلة أطلق عليها اسم الزمالة.

تحدث فيه عن معاملة الأمير للأسرى الذين عاملهم كضيوف وأكرمهم ، وأرسل الأمير بطلب قسيس إلى معسكر ليكون مسئولا عن الأسرى الفرنسيين في تلبية حاجياتهم المادية ، وكان رؤوف على المسيحيين ولم يكن يجبرهم على الأعمال الشاقة.و على الدخول للإسلام

وفي 1843م : استعمال الفرنسيين لأسلوب الترهيب والتخويف بإتجاه القبائل الجزائرية ، وكانوا على دراية بأهمية الزمالة التي كانت تحمي الأمير وتابعيه ت

وفي ر1844 – 1845م: أشار فيه إلى أن الحدود المغربية كانت ما جاد بالأمير بعد كل غارة لينتقل الصراع من الجزائر إلى المغرب ، حيث أرسل المارشال بوجو إلى المغاربة لتحذيرهم ، لهاجمهم بوجو لعدم إهتمامهم وإخضاع عبد الرحمان لمطلب فرنسا ووقع معاهدة السلام ، والتي تحتوي في بنودها على اعتبار الأمير عبد القادر خارج عن القانون.

وفي 1848-1853م: رئيس الجمهورية الفرنسي يدافع عن قضية الأمير لكن محاولته باءت بالفشل وأرسل المارشال بوجو يطلب من الأمير أن يعتبر فرنسا وطنا له بذلك يمنح أفراد عائلته فرصة العيش بحرية، فرفض المساومة.

وفي 1853- 1860م:غادر الأمير وعائلته وأتباعه إلى روسيا وعاشوا هناك وانتقل بعدها إلى دمشق، وغادر إلى لبنان حيث استقبل أحسن استقبال، وكان له زوار من كل أنحاء العالم.[51]

---

[50]– شارل هنري تشارشل، نفسه، ص 169

[51]– شارل هنري تشارشل، نفسه، 349

وفي 1860- 1864م: أعطت السلطات التركية أمر بتسليم الأسلحة التي كانت بيد الشعب في دمشق، وكان فقط لتجريد الجزائريين من أسلحتهم لكن عبد القادر احتج على ذلك ونجح .وحصل على شكر من طرف المسلحين وذلك بتقديم أوسمة وهدايا .

ونشير في هذا المقام إلى أن العالم الأخلاقي هو صورة نمطية ثقافية تستوعب عددا من الوضعيات "الدراسات الثقافية ازدهرت كنمط دراسي بين حقلي لدراسة نواحي الثقافة المختلفة وخصوصا الثقافة الشعبية وإنتاج الثقافة في الفترة المعاصرة وكانت بداية هذه الدراسات الثقافة بشكل أساس في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنقهام1964 فصاعد ولاحقا بوساطة الجامعة المفتوحة والدراسات الثقافية الآن معترف بها كتخصص بين حقلي عالميا، ويقوم بدعم هذا التخصص بعض المجالات تتراوح ما بين الدراسات الثقافية والنص الاجتماعي والتشكلات الجديدة"[52]؛

يمثل الأمير عبد القادر الجزائري صفحة مجيدة واستثنائية بالمواقف التي مرت معنا من تاريخ الجزائر المعاصرة لن يتمكن الزمن من إلغائها عن الوعي الثقافي والفكري والادبي والوجودي لأبطال الجزائر، فقد جسد أقصى درجات الوعي في الزهد المطلق، ورفض الإستعمار، وقدم دروسا نموذجية ومن أرقى المستويات في التسامح في زمانه، ولا يزال يشغل الباحثين والمفكرين اليوم في بقاع الدنيا، لقد قد للشعب الجزائري إرث عظيم مليء بأروع البطولات والتضحيات التي قلما يجود بها شعب في التاريخ، والتسامح هو أحسن ميراث تركه الأمير عبد القادر للإنسانية جمعاء حيث يمكن استثماره في عالمنا المعاصر لنعيش بسلام من دون تلويث العالم ووطنا الجزائر بالدماء والحروب والمذابح الجماعية. ونستثمره كذلك في تعزيز العلاقات الاجتماعية التي تمر بها الدول المغاربية الان من حقد وكره ، ولتثبيت الثقة المتبادلة بينهم.

وتسامح الأمير خير مثال يحتذى به في تعزيز قيم الاندماج ولتمكين الشباب والجيل الناشئ بالشعور بالتفاؤل في الحياة. ولعلّ استطلاعنا المتواضع حول مواقف الأمير عبد القادر يثبت أن التسامح يجعل الناس يشتركون في نظرتهم المتفائلة للمستقبل، ويرون أن الاحترام والاحتفاء بالتنوع هما مفتاح بناء مستقبل أفضل للجميع. فالمجتمع المتسامح، أكثر تمتعا بحسن المزاج وأقدر على المبادرة مِن غيره، وأقرب إلى التفاؤل في الحياة مِن الآخرين، وبناء علاقات جيدة مع الناس، ويبعث الرضا والثقة والأمل في المستقبل لدى الأفراد.

[52]-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص132.